العرب
الأربعاء 2021/03/31
السنة 43 العدد 12016

الطيور المهاجرة مهددة بالنفوق في سبخة السيجومي

أهم المناطق الرطبة في قلب العاصمة التونسية تتحول إلى مصب للنفايات

تحتاج المدن إلى متنفس طبيعي، لكن في تونس يساهم الإهمال المشترك بين السلطات والمواطنين في تحويل سبخة السيجومي، أهم المناطق الرطبة في قلب العاصمة المكتظة، من متنزّه مفترض تزيّنه الطيور المهاجرة إلى مصبّ للنفايات والمياه الملوثة.

طبيعة تعكّر جمالها النفايات

تونس - يسبح سرب من البط المهاجر في سبخة السيجومي في تونس ويقتات وسط نفايات منزلية، وبالقرب من منفذ لمياه الصرف الصحي في موقع مصنّف ينـدّد عدد كبير من محبّي الطبيعة بعدم حمايته من التلوث والتمدد العمراني المتزايد من حوله.

وتُعتبر سبخة السيجومي إحدى أهم المناطق الرطبة في تونس، ويشكّل التلوث والفيضانات خطرا على الطيور المهاجرة التي تتخذ منها سكنا في فصل الشتاء.

ويقول حمدي (31 عاما) وهو من سكان منطقة سيدي حسين المتاخمة للبحيرة "حبّذا لو تُهيّأ السبخة ويصبح المنظر أجمل ونتخلص من الأوساخ ومشكلة مياه الأمطار".

وتمثل البحيرة خزانا لمياه الأمطار والفيضانات الموسمية وتُصنف ثروة طبيعية هامّة وملاذا للكثير من أصناف الطيور المهاجرة التي تصل تونس في فصل الشتاء للتعشيش والتكاثر على غرار النحام الوردي والبط وطيور أخرى. لكن على الرغم من جمال الموقع فهو لا يستقطب التونسيين الذين يعتبرونه نقطة سوداء جرّاء التلوث المحيط به وقد أصبح أشبه بـ"مصب للنفايات".

وتسعى الحكومة إلى القيام ببعض الأعمال في المكان بينها وضع إسمنت في جزء منه، الأمر الذي يثير قلق جمعية بيئية تخشى عدم مراعاة نظام التأقلم الخاص بأسراب الطيور المهاجرة التي تتخذ من الموقع مكانا للتكاثر.

وتمسح سبخة السيجومي 2600 هكتار. وكانت مساحتها حوالي 3500 هكتار لكنها تقلصت بسبب تكديس بقايا عمليات البناء والردم وبسبب التمدد العمراني وتوسّع الأحياء السكانية المتاخمة.

وتتركز كثافة سكانية عالية حول سواحل البحيرة حيث يقيم حوالي 50 في المئة من مجموع سكان العاصمة بمعدل 2800 شخص في الكيلومتر المربع الواحد.

وتنقسم البحيرة إلى جزءين، قسم الشمالي تتكدس فيه أكوام من النفايات الصلبة وأسراب البعوض التي تمنع أيا كان من الوقوف مطوّلا في المكان، بينما النصف الجنوبي لا يزال محافظا على طابعه الطبيعي حيث يفرد النحام الوردي أجنحته في مجموعات ويضفي على المكان جمالا.

ولم تعد البحيرة قادرة على استيعاب كل مياه الأمطار بسبب ارتفاع منسوب الترسبات فضلا عن مواد صلبة تُلقى عشوائيا فيها منذ 2009، وبلغت 1.8 مليون متر مكعب حسب الدراسات الحكومية الأولية.

ويصب حوالي 223 مجرى مياه غالبيتها منزلية وصناعية غير مراقبة في السبخة. وإلى جانب ضفافها توجد مجمّعات للخردة تحتوي على ملايين الأطنان من هياكل سيارات وشاحنات وبقايا أجهزة منزلية. ويمكن مشاهدة أزواج البط تسبح وتقتات على الفضلات بالقرب من هيكل ثلاجة تآكله الصدأ.

ويقول حمدي وهو صاحب محل تجاري بمنطقة سيدي حسين المجاورة للبحيرة وحيث الكثافة السكانية عالية "في الشتاء تُغمر كل هذه الأحياء بمياه الأمطار وتتعطّل الحياة وحتى المدارس تقفل أبوابها". أما البعوض في فصل الصيف "فحدّث ولا حرج".

وتؤكد الخبيرة في مكتب شمال أفريقيا بمنظمة "الصندوق العالمي للطبيعة" إيمان الرايس أن السبخة "تحمي السكان من الفيضانات، ولكن عندما نقوم ببناءات عشوائية من حولها فهذا يتحوّل إلى تهديد للسكان، إذ أن مياه الفيضانات لن تجد مسالك للوصول إلى السبخة".

وإزاء تدهور الوضع البيئي للموقع بدأت الحكومة التونسية في العام 2015 إعداد دراسة لحماية البحيرة من التلوث وإعادة هيكلة قنوات تجميع مياه الأمطار وتطهيرها والاستفادة اقتصاديا من الموقع عبر تجهيز مساحات للبناء.

كما أن المشروع الذي تبحث الدولة عن تمويل يتجاوز الـ150 مليون دولار لإنجازه "سينقذ رئة العاصمة ويحافظ عليها بشكل مستدام"، وفقا لنادية قويدر المسؤولة عن مشروع التهيئة في وزارة التجهيز.

لكن أعضاء في منظمة "أحباء الطيور" يعترضون.

وكان ثلاثة منهم يتفقدون السبخة، وقد حملوا مناظيرهم على أكتافهم ونزلوا منحدرا بالقرب من مرصد من خشب شيّدوه على ضفاف البحيرة لمراقبة أعداد النحام الوردي ومختلف الطيور التي تأتي من شمال البحر الأبيض المتوسط بحثا عن الغذاء والأمان.

ويشير هؤلاء إلى أن الموقع حاصل على تصنيف "رامسار" في العام 2007، وهي معاهدة دولية للحفاظ والاستخدام المستدام للمناطق الرطبة.

ويؤكد المنسق العلمي لجمعية "أحباء الطيور" هشام أزفزف أن سبخة السيجومي هي رابع أهم منطقة رطبة في شمال أفريقيا نظرا للتنوع الحيوي الفريد الذي تحويه، إذ وصل إليها أكثر من 126 ألف طائر مائي هذا الشتاء.

ويلفت أزفزف إلى أن المنظمة ليست ضد المشروع الحكومي برمته، ولكن من بين النقاط السلبية التي يتضمنها حفر السبخة وتعميقها، وهذا "سيحرم العديد من الطيور مثل أنواع من البط والنحام الوردي من الغذاء لأنها لا تستطيع الغوص عميقا وستهجر المنطقة".

> البحيرة تمثل خزانا لمياه الأمطار وتُصنف ثروة طبيعية هامّة وملاذا للكثير من أصناف الطيور المهاجرة

ويضيف "هذا المشروع إن لم يأخذ بالاعتبار خصوصية المنطقة البيئية، سيقلب النظام البيئي فيها".

وتشدّد المسؤولة عن مشروع التهيئة في وزارة التجهيز من جهتها على أن "حوالي ثلث مساحة البحيرة فقط سيتم تعميقه بحوالي متر إضافي، وستترك مساحات للطيور".

وتتابع "في حال لن نتدخل، سنخسر أكثر من مساحتها بسبب الردم".

غير أن الرايس لا تبدي تفاؤلا بخصوص المشروع. وتلفت إلى أن تونس من بين دول البحر الأبيض المتوسط التي تهددها التغيرات المناخية، و"مع تسارع ظاهرة التغيرات المناخية مثل الفيضانات والتصحّر، حين نحافظ على هذه المساحات الخضراء نخفّف من حدة هذه الظاهرة".

وتعتبر المنظمات أن "الصراع صعب" من أجل حماية الطبيعة وتحسيس المجتمع لكي "يكون أقرب إلى الطبيعة".

لكن حمدي لا يعلق آمالا كبيرة على المشروع في ظلّ أزمة اقتصادية تعيشها البلاد. ويقول "من الصعب أن تنجز هكذا مشاريع وحال البلاد الاقتصادية معطلة".

إسعاف بيطري متنقل لعلاج الحيوانات في الضفة الغربية

رام الله - لساعات طويلة كل يوم يتنقل طاقم طبي بيطري على متن سيارة إسعاف مجهزة بكافة الأجهزة والأدوات اللازمة بين مدن ومحافظات الضفة الغربية لتقديم العلاج للحيوانات ضمن مشروع بيطري أطلقته الجمعية الفلسطينية للرفق بالحيوان التي تأسست سنة 2011.

ويهدف مشروع الجمعية الوحيدة العاملة في مجال حماية الحيوان في الضفة الغربية إلى تقديم الرعاية الطبية لكافة أنواع الحيوانات "ضالة كانت أو منزلية".

ورغم الانتقادات التي وُجهت لمؤسسي الجمعية، إلا أنها استمرت في عملها وحققت تقدمًا ملموسًا في قضايا الرفق بالحيوان في المجتمع الفلسطيني، وكان آخرها إطلاق مركبة إسعاف بيطرية متنقلة.

ويقول أحمد صافي مؤسس الجمعية "الفكرة جاءت بسبب الاتصالات الكثيرة التي نتلقاها عن حالات صعبة لحيوانات تحتاج العلاج والإيواء، ولم يكن لدى الجمعية القدرة أو الطاقم الكافي للتواجد في معظم المناطق".

وأنجزت المبادرة عدة مهام لإنقاذ حيوانات مريضة أو مصابة، أبرزها عمليات بتر وعلاج الكسور المتعددة في الأطراف، وزراعة البلاتين والأمراض الموسمية وغيرها.

ووصف صافي إطلاق أول مركبة إسعاف بيطرية بـ"الإنجاز"، مشيرًا إلى أنها ستعمل خلال الفترة القادمة على التنقل إلى جميع محافظات الضفة الغربية وتقديم الرعاية الطبيّة اللازمة للحيوانات.

ويتكون الطاقم الطبي من طبيب بيطري ومساعده وسائق سيارة إسعاف، ويتوجه إلى المدن والمحافظات التي يتلقى منها بلاغات بوجود حيوانات بحاجة لرعاية بيطرية.

ويقول الطبيب أحمد جادالله بينما كان يجري فحصا لأحد الكلاب الضالة، إن طاقمه يعالج يوميا 15 حالة بينها حالات متواجدة داخل مقر الجمعية بحاجة إلى رعاية ومتابعة يومية.

> طاقم مكون من طبيب بيطري ومساعده وسائق سيارة إسعاف يجول بين المدن والمحافظات لتقديم العلاج للحيوانات

ويضيف جادالله لوكالة أنباء شينخوا، وهو يداعب الكلب عقب تقديم العلاج الميداني له في مدينة نابلس شمال الضفة الغربية، أنه في أغلب الأحيان يقوم بإجراء عمليات جراحية ميدانية داخل الإسعاف البيطري المتنقل.

ويشير إلى أن "الإسعاف ساهم بشكل كبير في إنقاذ المئات من الحيوانات التي كانت تواجه خطر الموت خاصة الضالة منها التي عادة ما تتعرض للعنف من قبل المواطنين سواء عبر تسميمها أو ضربها بالعصي أو حتى إطلاق النار عليها".

ويتابع جادالله "عادة ما نحاول تقديم العلاج اللازم للحيوانات ميدانيا بما فيها إجراء عمليات جراحية داخل الإسعاف البيطري، ولكن هناك حالات مستعصية تكون بحاجة إلى نقلها إلى مقر الجمعية من أجل متابعتها بشكل يومي".

ويوضح الطبيب الذي أبدى رضاه عن عمله أنه "بعد إنهاء كافة الجلسات العلاجية للحيوانات المتواجدة داخل مقر الجمعية نقوم بإطلاقها في المناطق البرية في الضفة الغربية لحمايتها من أي انتهاكات عنف مرة أخرى".

وعلى مقربة منه أعرب مساعده محمد موسى البالغ من العمر (27 عاما) عن سعادته بالوصول إلى كافة مناطق الضفة الغربية وتقديم العلاج للحيوانات فيها.

وبجانب تقديم العلاج الجسدي للحيوانات، فإنهم يعملون على نشر الوعي بين المواطنين بضرورة عدم تعنيف الحيوانات أو انتهاك حقوقها، بحسب موسى.

ويضيف موسى أن "الحيوانات لا حول لها ولا قوة، فهي لا تستطيع أن تعبر عن ألمها، وعادة ما تبقى تصارع الموت وحدها دون أن تتمكن من طلب المساعدة، لذلك من المهم أن يتحمل المواطنون مسؤولياتهم الإنسانية تجاه الكائنات الحية الضعيفة".

وسجلت الضفة الغربية ارتفاعا ملحوظا في الانتهاكات المرتكبة ضد الحيوانات خاصة الضالة، والتي كانت تؤدي إلى هلاك عدد منها في الشوارع، بحسب ما أكده رئيس الجمعية الفلسطينية للرفق بالحيوان أحمد صافي.

ويقول صافي إن الجمعية قدمت العديد من المشاريع الخاصة بالرفق بالحيوانات في الضفة الغربية، منها تقديم الطعام للحيوانات وتوعية المواطنين بحقوق الحيوان وحثهم على ضرورة تقديم المساعدة لها بدلا من تعذيبها أو قتلها.

وتنشط الجمعية على مواقع التواصل الاجتماعي لنشر التوعية بحقوق الحيوان وأساليب التغذية الصحيحة وطُرق حمايتها، إضافة إلى استقبال الرسائل من المواطنين والرد على استفساراتهم في هذا الشأن، كما قدمت الجمعية العديد من الدورات للأطفال، حيث يتعلمون كيفية رعاية الحيوان والرفق به، وتوسيع دائرة التوعية لتشمل أساليب التعامل مع الحيوانات المصابة أو المريضة.

الحيوان يستحق الرفق والمساعدة

وتشيد الشابة الفلسطينية هبة سعدالله، وهي من سكان مدينة جنين، بخدمات الجمعية للحيوانات خاصة وأنها لم تكن مضطرة لقطع مسافة طويلة كي تتمكن من إجراء عملية جراحية لكلبها الذي يعاني من تصلب أمعائه.

وتقول سعدالله "تواصلت مع الجمعية من خلال موقعها الإلكتروني، وفوجئت بردهم السريع على طلبي وحضورهم إلى بيتي لمعاينة الكلب، وبعد المعاينة حددوا موعدا لإجراء العملية الجراحية".

وتضيف أن "الكلب تخلص من آلامه المتواصلة واستعاد عافيته ولعبه طوال النهار في حديقة المنزل، معربة عن سعادتها بذلك".

ولا يوجد قانون لحماية الحيوان في الأراضي الفلسطينية، ما دفع الجمعية إلى إطلاق مقترح مشروع قبل أعوام لإعداد مسودة قانون مفصل تشريعي للرفق بالحيوانات، لكنه لم ير النور حتى الآن.

ويُؤكد صافي أن الجمعية ستواصل عملها عبر المبادرات لرفع الوعي المجتمعي تجاه الحيوانات، معبرًا عن أمله بأن يتمكنوا مستقبلًا في إنشاء ملجأ للحيوانات الضالة وإقامة مركز طبي بيطري واسع يضمن تقديم الرعاية الطبية اللازمة لها.